Jurnal Yaqzhan, Vol. 07 No. 02, Desember 2021
Available online at
http://www.syekhnurjati.ac.id/jurnal/index.php/yaqzhan/index
Published by Departement of Aqeedah and Islamic Philosophy,
Faculty of Ushuluddin, Adab and Dakwah IAIN Syekh Nurjati
Cirebon, Indonesia

أثر التوحيد في السعادة عند ابن قيم الجوزية

THE EFFECT OF MONOTHEISM ON HAPPINESS ACCORDING TO IBN QAYYIM AL-JAWZIYYA

Achmad Reza Hutama Al Faruqi[1] *hutama@unida.gontor.ac.id*
Universitas Darussalam Gontor

Aqmarina Shofita[2] *aqmarinashofita47@gmail.com*
Universitas Darussalam Gontor

Filaila Nur Faiza[3] *faizafila33@gmail.com*
Universitas Darussalam Gontor

ABSTRACT: *Most Muslims used the Western ways to get happiness and did not open their eyes and hearts to a review of ideas about the true happiness in the portrayal of Islam itself and appears in the closure of the Islamic scientific cabinets until it leads to the separation of faith from unification and Happiness. . The study of this research is using the method of Sufism, a kind of Library Research, its purpose is to understand the true meaning of Tauhid and happiness in Ibn Qayyim, and to analyze it in some Muslim scholars, using the descriptive analysis method. The researcher found that Tauhid has the highest place in happiness. Because Tauhid is the belief in God's unity and non-existence. Tawheed is divided into three sections: the Tauhid of rububiyah, the Tauhid of uluhiyah, the Tauhid of Asma wa ash-shifat. The concept of happiness when the son of the values of the nut is the feeling near to God as if he was lying before his Lord, and was the happiness of the son of the values of the nut. And happiness has two types: the earthly happiness and the happiness of the Acharonism. Happiness is divided into three sections: external, physical, and psychological and spiritual happiness heart.*
Keywords: *Tauhid, Happiness, Ibn Qayyim al-Jauziyah, Sufi Discourse.*

ABSTRAK: *Sebagian besar umat Islam dewasa ini menggunakan cara-cara Barat dibanding ajaran Islam dalam mencari atau mendapatkan kebahagiaan. Mereka enggan untuk meninjau gagasan tentang kebahagiaan sejati dalam penggambaran ajaran Islam itu sendiri. Mereka kerap muncul dan menutup "lemari ilmiah" Islam sehingga mengarah pada pemisahan antara Iman dan Kebahagiaan. Kajian dalam penelitian ini menggunakan metode tasawuf jenis Library Research yang bertujuan untuk memahami makna Tauhid dan kebahagiaan yang hakiki dalam perspektif Ibnu Qayyim, dan menganalisisnya pada sebagian ulama dengan menggunakan metode analisis deskriptif. Peneliti menemukan bahwa Tauhid memiliki tempat tertinggi dalam kebahagiaan. Karena Tauhid adalah keyakinan akan keesaan Tuhan. Tauhid dibagi menjadi tiga bagian: Tauhid rububiyah, Tauhid uluhiyah, Tauhid Asma wa ash-shifat. Konsep kebahagiaan dari tauhid adalah merasa berbahagia karena senantiasa merasa dekat dengan Tuhannya, seolah-olah Tuhan selalu berada di hadapannya dan tidak bisa dipisahkan dari kehidupannya. Kebahagiaan memiliki dua jenis: kebahagiaan duniawi dan kebahagiaan Acharonisme. Kebahagiaan dibagi menjadi tiga bagian: eksternal, fisik, dan psikologis dan kebahagiaan hati spiritual.*
Kata Kunci: *Tauhid, Kebahagiaan, Ibn Qayyim al-Jauziyah, Kajian Sufi.*

Copyright @ 2021 Author.
Published by Jurnal Yaqzhan

مقدمة

السعادة بمعنى الحظ أو الشعور الهادئ بالسعادة (خالية من كل شيء مزعجة).[1] والسعادة هي المتعة وسلام الحياة (الظاهرة والباطنة)، الحظ الجسدي والروحي. وكلمة سعيدة في اللغة العربية تعني السعادة "الحظ" أو "السعادة".[2] السعادة هي دراسة دافئة ليتمّ فحصها من قبل علماء النفس. لأنّ السعادة هي كلمة غالبا ما يتم التحدث بها حتى في الحياة البشرية، ولكن كثيرون لايزال ممن لم يجدوا السعادة في حياتهم. حاول علماء النفس إعادة صياغة معنى وعناصر السعادة. ومع ذلك، فإنّ هؤلاء الخبراء يعانون أيضا من الارتباك الحقيقي وشكل من أشكال السعادة في المجتمع الغربي.[3]

وكان السعادة عند الفاربي، هي حين الروح الإنسانية يكون كاملا في شكل، حيث لايحتاج في وجوده المادية.[4] غالبا ما يكون مفهوم السعادة مختلفا ويمكن أن يكون في جوهره نظرياً متقاطعاً.[5] اختلف الناس في حصول السعادة على مستوى جهدهم في السعي على تناول السعادة الدنيوية والأخروية. والسعادة له أثر كبير في الحياة، لأنّ يستطع أن يفسد العقيدة ويضاع صور الحق في الإسلامي. وقد أصيب كثيرا من الناس إمّا الأغنياء أو الفقراء بهذه السعادة ولا يعرفون كيف الطرق في حصولها. وهل استخدم الطرق الغربي لحصولها كان كافيا ومطابقا بأحوال الناس في هذا الزمان الذين غفلوا عن حقيقة السعادة.

وكان ابن القيم من أحد العلماء المشهورين له المنهج الخاص عن السعادة. استنادا إلى ما ورد أعلاه، تعرض إلى عدد من الأسئلة التي تمكن أن تطلب، كيف كان أثر التوحيد في السعادة عند ابن قيم الجوزية؟ و كيف حصول إلى السعادة الحقيقية؟ فالإجابات هذه الأسئلة سوف تكون الحجة وبينة على أن هذا البحث حازم ومعقول ولا يمكن تفويتها في الدراسة للعقيدة والفلسفة الإسلامية. لذلك كان التوحيد هو شيء أفضل، لازم معروف ومقوم لعبده لحصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية. ومن تلك المشقة، أراد الباحثة عن تحليل المشكلة. كيف كان أثر التوحيد في السعادة عند ابن قيم الجوزية؟

---

[1] Departemen Pendidikan dan Kebudayaan, *Kamus Besar Bahasa Indonesia,* (Jakarta: BalaiPustaka, 1990), 65.

[2] Jalaluddin Rakhmat, *Renungan-Renungan Sufistik: Membuka Tirai Kegaiban,* (Bandung: PTMizan Pustaka, 1994), 205.

[3] Ruud Veenhoven, "How Do We Assess How Happy We Are?", Paper Presented at Conference on *'**New Directions in the Study of Happiness: United States and International Perspectives,*** University of Notre Dame, USA, October, 22-24,2006

[4] Ibrahim Madkour, *Filsafat Islam: Metode dan Penerapan*, terj. Yudian Wahyudi dkk, (Jakarta:PT RajaGrafindo Persada, 1996), bagian 1, cet. ke-4, 32.

[5] Shigehiro Oishi & Ed Diener, *Journal Association For Psychological Science*, Vol. 2, Number 4, 2007, 346.

هذه الدراسة من نوع الدراسة المكتبية التي تقصد بها جميع المعلومات والبيانات باستخدام مختلف المواد في المكتبة " *Library Research*" بمدخل الكيفي. والبحث الذي قدمته الباحثة باستخدام منهج الوصفي والتحليلي، وهو التحليل في الأفكار المتعلقة باستخدام أساليب التوحيد أساس في السعادة عند إبن قيم الجوزي التي لم تمس في عالم الفكر الغربي.

ومن أجل تحليل الحقائق التي حصلت الباحثة في هذا البحث فسار على المناهج الآتية: المنهج الوصفي *(Descriptive Method)*, واستخدمت الباحثة هذا المنهج للوصول إلى معرفة ترجمة حياة ابن قيم الجوزية. المنهج التحليلي *(Analytic Method)*, واستخدامت الباحثة هذا المنهج لتحليل المسائل المتعلقة بنظرية ابن قيم الجوزية في مسألة التوحيد والسعادة، ثم مناقشتها للوصول إلى استنباط صحيح.

التوحيد عند العلماء

ومعنى التوحيد عند ابن تيمية[6] هو أن يوجه المسلم في عبادة الله وحده ولايعبد غيره ويوحّد الله بعمل عبده بنيّة التقرّب إلى الله المشروع. ذهب ابن تيمية في اثبات التوحيد إلى منهج حيث يقسمه إلى ثلاثة أنواع:[7] توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

يرى الأشعري بأنّ الله تعالى كالخالق يتصف بالوحدانيته، لأنّه إذا وجد الإله أكثر من واحد فسوف يحدث الفوضى في العالم ومخلوقاته. وعندما وجد الإلهان، فالواحد يريد الشيء حيا والآخر يريده موتا، وسيكون ثلاثة ممكنات. أولا تلك الإرادتين واقعتان في آن واحد، وهذا مستحيل أن يكون الموت والحياة في آن واحد، والثاني تلك الإرادتين غير حادثتين، إذن كلاهما ضعيفتان، والضعيف لم يكن إلها ولاقديما، والثالث: كانت إرادة الإله واقعة والآخر غير واقعة، ولذلك فالإله الثانى ضعيف، والضعيف لا يمكن أن يكون إلهًا الذي يتصف بالقدم.[8]

---

[6] وهو من العلماء البارزين، والشيخ الإسلام، ولد ابن تيمية بحران من أعمال أورفه في تركيا سنة 661 هـ وهاجر أبواه به وبإخوانه إلى دمشق تخلصا وفرارا من ظلم التتار، وقد لاقوا في هجرتهم متاعب ومصاعب كثيرة لولا عناية الله عز وجل أن وصّلهم بالسلامة. وأنّهم من الصوفية كذلك معلّم ابن قيّم الجوزية، وأفتى وله من العمر بضعة عشر عاما. صالح بن سعيد بن هلابي، **لمحات تاريخية من حياة ابن تيمية**، مجلة اجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ن، ص. 108

[7] محمد السيد الجليند، **قضية التوحيد بين الدين والفلسفة**، (القاهرة: مكتبة الشباب، الطبعة الرابعة، 1986 هـ)، ص.101

[8] أمل فتح الله زركشي، **عقيدة التوحيد عند افلاسفة والمتكلمين والصوفية**، (فونوروكو: جامعة دار السلام كونتور، 2008)، ص. 20-21

أما أبو حامد الغزالى في كتابه **إحياء علوم الدين**، الجز الأول، يقول أنّ التوحيد هو الجوهر النفيس المعروفة من خلال التعبير اللفظي لا اله الاّ الله، بالعزيمة والعمل مع الإخلاص.[9] هذا التحديد يشير إلى أن قيمة التوحيد، معتمد على حالة من نفسه. وإذا زكي نفسه فكان توحيده أقوي. فمن أحسن توحيده فكان أخلاقه أحسن. لأن الأخلاق الكريمة صادرة من نفس زكية. أما قال محمد عبده أن التوحيد هو الاعتقاد في الله سبحانه وتعالى لاشريك له. يعني الإثبات بأن الله هو واحد، ويشمل على وحدانية الله في ذاته، وعمله، وخلقه، وعلى كل شيء.[10]

أنّ يوسف القرضاوي اعتصم بالقرآن والسنة في تعريف مفهوم التوحيد ومحاولته في تنقية التوحيد عن الشرك. والتوحيد هو إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته،[11] وهو الإيمان بوجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسماءه الحسنى وصفاته العليا التي يتجلى فيها اتصافه بكل كمال يليق به وتنزهه عن كل نقص. وكان للتوحيد عنوان يعبر عن حقيقته في كلمة عظيمة التي عرفت لدى المسلمين بكلمة "التوحيد" وكلمة "الإخلاص" وكلمة "التقوى" وهي (لاإله إلاّ الله).[12]

وفي نهاية المطاف، أنّ التوحيد عند العلماء المسلين هو العمل بالجوارح وأنّ منازل النّاس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدهما.

السعادة عند العلماء المسلمين

السعادة لغة: سعد، والسعد: اليمن تقول (سعد) يومنا من باب خضع، وهو نقيض النحس، والسعودة: خلاف النحوسة والسعادة خلاف الشقاوة، يقال: يوم سعد ويوم نحس، وقد سعد يسعدُ سعداً وسعادةً، فهو سعيد نقيض شقي مثل سلم فهو سليم، أو سُعد بالضم،

[9] في هذا الصدد، ينقسم الغزإلى التوحيد إلى أربعة مستويات، وهي التوحيد للمنافين، والتوحيد الشائع للمسلمين، التوحيد الذي بلغي الكشف، والتوحيد لأولئك الذين يستطيعون رؤية الحقيقة،وهم خبير الصوفية على وجه التحديد، انظر أبو حامد الغزإلى، **إحياء علوم الدين**، (القاهرة: دارالحديث ، 1998)، ص.، 45، انظر الجزء الرابع، ص. 351

[10] محمد عبده، **رسالة التوحيد**، (القاهرة: الشعب، د. سنة). ص. 6

[11] يوسف القرضاوي، **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، (مصر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة 1422 ه)، ص. 15

[12] يوسف القرضاوي، **الإيمان و الحياة**، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة 1416 ه)، ص. 28

فهو مسعود والجمع سُعداء والأنثى بالهاء.[13] وأما اصطلاحا لقد تتبعت أثناء البحث بكل دقّة في كثير من المصادر الإسلامية القديمة لعلماء المسلمين مثل الإمام الغزالي وابن قيم الجوزية وغيرها. ولنيل السعادة بمحبة الله وحده، لأنّ المحبّة هِيَ أصل السّعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها، والمحبّة المذمومة الشّركيّة هِيَ أصل الشّقاوة ورأسها التي لا يبقى في الْعذاب إلا أهلها، فأهل المحبة الذين أحبّوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يدخلون النّار، ومن دخلها منهم بذنوبه فإنّه لا يبقى فيها منهم أحد.[14]

السعادة عند ابن تيمية هي سعادة النفوس كمالها علمًا وعملاً، هم من أبعد الناس عن هذا، وذلك أن عندهم غاية سعادة النفوس نيل العلم فقط، وحقيقة العلم بالكليات التي لا وجود لها في الخارج كليات، والوجود الذي يثبتونه لواجب الوجود هو من هذا النمط.[15] عن مفهوم السعادة عند ابن تيمية هي أنّ السعادة لايحصله إلاّ بالإيمان والأعمال الصالح، لأنهما مصدر على هذه السعادة الحقيقية وهي جنة الله. يقول الإمام ابن قيم رحمه الله أنّه سمع ابن تيمية يقول: " أنّ هذا العالم فيه الجنة، من لايدخلها فلن يدخلها إلى الجنة الآخرة". عبارة من الجنة الدنيا الذي عبر ابن تيمية هو الإيمان بالله، وموقف حب الله، والرضا في أحكامه.

إنّ السعادة عند الإمام الغزالي مبني على ثلاثة أشياء: قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم وكان أول من حدد وظائف النفس بشكل منهجي في العلم القديم الفيلسوف اليونان أفلاطون، الذي جعل للنفس ثلاثة قوى: القوة الشهوانية والقوة العاقلة، وجعل النفس الشهوانية والنفس الغضبية تابعتين وخادمتين للنفس العاقلة، وقد شبه أفلاطون الإنسان وقواه وعناصره المختلفة بالمدينة الفاضلة التي كان يسعي إلى تأسيسها، حيث جعل سكان مدينته ثلاث طبقات: طبقة العمال وطبقة المحاربين وطبقة الحكام، فجعل طبقة العمال مقابلة للنفس الشهوانية في الإنسان، وطبقة المحاربين مقابلة للنفس الغضبية، وطبقة الحكام مقابلة للنفس العاقلة. كما تأثير النفسان الشهوانية والغضبية بأوامر النفس العاقلة، فكذلك يجب أن يخضع العمال و المحاربون للحكم الذين يجب أن يكونوا من الفلاسفة برأيه.[16]

---

[13] عبد الله محمد غانم العامري، **السعادة في المنظور الإسلام**، (بيروت–لبنان: دار ابن حزم، 2005م)، الطبعة الأولى، ص. 28–29

[14] ابن قيم الجوزية ، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، (المغرب: دار المعرفة، 1997م)، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص. 199

[15] **نفس المرجع**، ص. 56

[16] الإمام الغزالي، **كيمياء السعادة**، في مجموعة رسائل الإمام الغزالى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988)، ص. 130–131

كانت السعادة عند ابن مسكويه هو نظرية الوسط التي يثق بها ويطمئنّ إلى سلامتها كل الاطمئنان هو أفلاطونيا صرفا ينأى بنفسه عن الواقع المحسوس ليحيا حياة تجردية في عالم الواقع صرفا في الاهتمام بماديته ولكنّه جمع بين الرأيين وأخذ من كلا المذهبين بنصيب فبينما يوصى ببذل الجهد في التراقي بالإنسان حتى يجاوز أفقه إلى أفق الملائكة حيث تطيب الحياة الروحية ويفيض النور الإلهي بعيدا عن المادة وأرجاسها وذلك لون أفلاطوني إذ كان مع ذلك يوصى بأن ينال الجسم من الذات[17] المشروعة ما به قوام حياته واعتدال مزاجه في غير اسراف ويحسب الخيرات البدن والخيرات الخارجية حسابا في تمام السعادة وهذا هو مذهب أرسطو الذي نص عليه في كتاب الأخلاق، وقد صرح بذلك مسكويه.

وإنّ السعادة الحقيقية عند ابن مسكويه لا تكون إشباعا لحاجات البدن فحسب، إنّما تكون أيضا في العقل بهذا تتحقق السعادة في إشباع البدن والنفس معا لأنّ الإنسان في حقيقته وحدة واحدة، والإنسان يملك كمالان كمال ككائن فهو عامل وعالم في ذات الوقت وحدة العلم والعمل، فبقوّة العلم والنظر يصل إلى الحقيقة وبقوة العمل يرتّب الأمور وينظّمها، والجمع بين هذين الكمالين هو السعادة المطلقة.[18]

لمحة عن تاريخ عن ابن قيم الجوزية

الإمام المحقق البارع الفذ المتقن المتفنن "شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بضم الحاء الزرعي[19] الدمشقي، المشهور بابن قيّم الجوزية" ونسبة إلى المدرسة التي أنشأها محي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.[20]

---

[17] ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق في التربية**، الطبعة الأولى،(بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 1405 هـ–1985 م)، ص. 180

[18] **المرجع السابق**، ص. 189

[19] نسبته الزرعي إلى زرع (بفتح الأول و سكون الثاني) بحرّان و تسمى اليوم أزرع و كان يقال لها زرا. انظر مجمع البلدان لياقوت الحموي البغدادي ج 3 ص 13، 135، ط: صارت بيروت سنة 1397هـ- 1977 م و انظر كذلك: الأعلام ج 6، 28

[20] مصطفي مراد صبحي محمد، **موقف الإمام ابن قيم من الصوفية**، (القاهرة: عين شمس، جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر، الطبعة الأولى، سنة 141 هـ–2000 م)، ص. 5

كان ابن قيم فقهيا حنبليا متكلما، وكانت له آراء في التصوف على طريقة السلفية التى تقرر فكرة التصوف في اعتدال، دون مغالاة أو ابتدع.[21]

ولد ابن قيم في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة (691 هـ)، في قرية زريع ويقال له اليوم أزرع، من قرى حوادث التابعين لحرّان وكفى تبعد عن مدينة دمشق خمسة وخمسين ميلا جنوب شرقها.[22]

وقد أثبت البحث العلمي الحديث أنّ الشخص بتأثر بالأحوال والظروف المحبطة به، كما يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويكون لها دخل كبير في تكييف حياته، وطبعها بطابع خاص، فنوع التربية التى يتلقنها في البيت وفي المدرسة، والروح العامة التى تسود أساتذته ومعليه، والتلاميذ الذين يحيطونه ويعاشرون، والكتب التي يقرأها، والأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي توجد في عصره، كل أولئك عوامل مهمة في تكوين شخصيته وتكييف اتجاهها وتعيين طريقها ومنهجها. وكان لهذا آثار في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية لعصره.

كان ابن قيم عارفاً بالتفسير لا يجُارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيه المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام والنحو، وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، "ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان أعلم منه، وليس نمو المعصوم، ولكن لم أرى في معناه مثله."

ولقد اتصف رحمه الله بصفات كثيرة لايتسع المقام لذكرها منها على سبيل المثال أنه ذا عبادة والزهد، التقوى، النقاء، وعدم الحقد والحسد، فقد كان عابداً زاهداً تقيًا نقيًا، حسن الخلق، كثير التواد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد.[23]

إنّه هو ابن قيم الجوزية من المجتهدين المصلحين الذين لا يترددون في نقد كثير من آراء أهل العصر بنظر العقل الذي لا يخالف الشرع. وهو يفعل ذلك في هدوء وصبر، وترتيب منظم لما يعرض من أفكار، مع ميل إلى مقارنة والموازنة.

التوحيد عند ابن قيم الجوزية

---

[21] عمر أحمد الراوي، **طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني و ابن قيم الجوزية**، الطباعة الأولى، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، 1424 هـ– 2003 م)، ص. 44

[22] مصطفي مراد صبحي محمد، **موقف الإمام ابن قيم من الصوفية**...، ص. 8

[23] ابن كثير، **البداية والنهاية**، (قاهرة: سنة 14–8 هـ)، المجلد 14، ص. 246

1. مفهوم التوحيد عند ابن قيم الجوزية

التوحيد لغة مصدر "وَحَّدَ يُوَحِّدُ" معناه جعل الشيء واحد. وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له. ومعناه الإصطلاحا هو العلم والاعتراف بتفرّد الربّ بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفاته الغظمة و الجلال، وإفراد وحده بالعبادة.[24] و التوحيد هو الذي يفرق الإسلام بالأديان و الحضارات الأخرى في الدنيا، تدلّ خصائص الإسلام على أنّه دين كامل بالنسبة إلى الأديان الأخرى.[25]

التوحيد هو تنزيه الله عز وجل عن الحدث، وإنما نطق العلماء بما نطقوا به، وأشار المحققون بما أشاروا به في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد، وما سواه من حال أو مقام فكله مصحوب بالعلل.[26] التوحيد هو أول دعوة الرسل. و أول منازل الطريق، و مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوْا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ).[27]

وكان التوحيد هو مفتاح دعوة الرسول. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه– وقد بعثه إلى اليمن، إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه. عبادة الله وحده. فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة. ولهذا أن أول واجب بجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله. لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم.[28]

---

[24] محمد بن عبد الوهاب، **كتاب التوحيد**، كتاب التوحيد، الطبعة الأولى، مصر: مكتبة عباد الرحمن، 2008، ص. 11.

[25] يوسوف القرضاوي، **حقيقة التوحيد**، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، 1409 هـ)، ص. 41

[26] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، الجزء 3، بيروت–لبنان، دار الكتاب الغربي، ص.327

[27] سورة الأعراف، الآية: 59

[28] إبن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**...، ص. 411

والتوحيد كذالك أول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "من كان آخر كلامه لاإله إلاالله دخل الجنة"[29] فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره.

قوله " التوحيدُ هو تنزيه الله عن الحدث "، هذا الحد لا يدل على التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وينْجو به العبد من النّار، ويدخل به الْجنّة، ويخرج من الشّرك، فإنّه مشْتَرَكٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْفِرَقِ، وَكُلُّ مَنْ أَقَرَّ بِوُجُودِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ أَقَرَّ بِهِ، فَعُبَّادُ الْأَصْنَامِ، وَالْمَجُوسُ، وَالنَّصَارَى، وَالْيَهُودُ، وَالْمُشْرِكُونَ – عَلَى اخْتِلَافِ نِحَلِهِمْ – كُلُّهُمْ يُنَزِّهُونَ اللَّهَ عَنِ الْحَدَثِ، وَيُثْبِتُونَ قِدَمَهُ، حَتَّى أَعْظَمُ الطَّوَائِفِ عَلَى الْإِطْلَاقِ شِرْكًا، وَكُفْرًا وَإِلْحَادًا، وَهُمْ طَائِفَةُ الِاتِّحَادِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ، وَهُوَ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَدَثِ، وَلَمْ تَزَلِ الْمُحْدَثَاتُ تَكْتَسِي وُجُودَهُ، تَلْبَسُهُ وَتَخْلَعُهُ.

فقال ابن تيمية على أن التوحيد الذي جاءت به الرسول من أولهم إلى آخرهم، ونزلت به الكتب كلها. وبه أمر الله الأوليين والآخرين. وقال "من مات وهو يعلم أن لاإله إلا الله، دخل الجنة"[30] والقرآن مملوء من هذا التوحيد، والجعوة إليه. وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به. وحقيقته إخلاص الدين كله الله.[31] والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء.

وعنده كذالك أن التوحيد هو ضد من الشرك، إذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله فعبده لايشرك به شيئا كان موحدا. ومن توحيد الله وعبادته التوكل عليه و الرجاء له والخوف منه، فهذا يخلص به العبد من الشرك. و التوحيد الله و إخلاص الدين له في عبادته و استعانته في القرآن كثيرا جدا. بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام و آخره.

ويقال أنّ التوحيد تنزيه الله عن الحدث هذا الحد، لايدل على التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه. وينجو به العبد من النار، ويدخل به الجنة. ويخرج من الشرك، فإنه مشترك بين جميع الفرق. وكل من أقر بوجود الخالق سبحانه أقر به. فعباد الأصنام والمجوس، والنصارى، واليهود، والمشركون على اختلاف نحلهم كلهم ينزهون الله عن الحدث، ويثبتون قدمه، حتى أعظم الطوائف على الإطلاق شركاً وكفراً وإلحادًا، وهم طائفة الاتحادية. فإنهم يقولون هو الوجود المطلق. وهو قديم لم يزل وهو منزه عن الحدث ولم تزل المحدثات تكتسي وجوده، تلبسه وتخلعه.

---

[29] أخرجه أبو داود في كتاب: الجنائز، باب في التلقين (3116).

[30] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ص. 135

[31] إبن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**...، ص. 355

والفلاسفة الذين هم أبعد الخلق عن الشرائع وما جاءت به الأنبياء يثبتون واجب الوجود قديما منزها عن الحدث. والمشكرون عباد الأصنام الذين يعبدون معه آلهة أخرى، يثبتون قديما منزها عن الحدث.[32] فالتنزيه عن الحدث حق لكن لايعطيي إسلاما ولا إيمانا ولا يدخل في شرائع الأنبياء، ولا يخرج من نحل أهل الكفر ومللهم ألبته. وهذا القدر لايخفى على شيخ الإسلام ومحله من العلم والمعرفة محله.

القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلاّ بالوصول إلى التوحيد، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدا إليه المنتهى. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة، فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره. والتوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى.

2. أقسام التوحيد عند ابن قيم الجوزية

كان ابن قيم الجوزية يقسم التوحيد إلى أنواع: فالنوع الأول منه هو ما عناه ابن قيم، ورأى التقديمه على سائر المقامات، ويؤيد هذا قوله: والتوحيد على ثلاثة أوجه: الوجه الأول توحيد العامة الذى يصح بالشواهد، والوجه الثانى توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة. فالوجه الأول أساس العبادة، وينبغى أن يقدم على سائر القامات، وهو ما تصده ابن قيم. والثانى فهو توحيد الخاصة، ولا يصل إليه أحد إلا بالمكاشفة و المشاهدة والاتصال وهو آخر المقامات، وأما الثالث فهو توحيد الله نفسه.[33]

والتوحيد يتمثل في الشهادة أن لا إله إلا الله: نطقا بها، وعملا بمقتضاها نفيا و إثباتا، والتزاما بلوازمها، وتقيدا بشروطها، واتخذها منهاجا للحياة، ينظم شئون الإنسان الخاصة والعامة، في البيت وفي المسجد وفي العمل وفي سائر شئون الحياة. وقال ابن قيم على أن التوحيد أول دعوة الرسل. وأول منازل الطريق. وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، كما قال تعالى لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا إِلى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَالَكُمْ مِنْ إِله غَيْرُهُ (سورة الأعراف :55)[34]

---

[32] **المرجع السابق**، ص. 326

[33] **المرجع السابق**، ص. 478

[34] ابن رجب الحنبلي، **كتاب التوحيد**: رسالة كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، (الرياض: دار القاسم للتشر، 1415 هـ)، ص. 6

وأنه كذلك ممزق بسهولة، ملوث، وملطخ من اللوم، و أنه الملابس البيضاء التي تنجرف بسهولة عن طريق القليل من النقاط. ويشبه التوحيد مرآة واضحة، إذ علقت كمية صغيرة من العصي البقع ستعطي بالتأكيد علامات على سطحه.

توحيد الربوبية فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده. فلا خالق ولا رازق، ولامعطي ولامانع، ولا مميت ولامحيي، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان. وما لم يشأ لم يكن. لا تتحرك ذرة إلا بإذنه. لايجري حادث إلا بمشيئته ولا تسقط ورقة إلا بعلمه. ولا يعزب عنه مشقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه. وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهذا جمع توحيد الربوبية.

وأما جمع توحيد الإلهية، فهو أن يجمع قلبه وهمه وعزمه على الله. وإرادته، وحركاته على أداء حقه تعالىن والقيام بعبوديته سبحانه. فتجتمع شئون إرادته على مراده الديني الشرعي. وهما يجمعان في كلمة إياك نعبد وإياك نستعين. [35]

أن التوحيد المطلق هما العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحيده صفات العظمة والجلال. وأفراده وحدة بالعبادة، وهو ثلاثة أقسام:

أ. التوحيد الربوبية

بان يعتقد العبد ان الله الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بالنعم وربي خواص خلقه وهم أنبياء واتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذ هي التربية النافعة لقلوب الأرواح المثمرة لسعادة الدين.

ب. التوحيد الألوهية ويقال له توحيد العبادة

وهو العلم والاعتراف بان الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاصه الديني لله وحده.

ت. التوحيد الأسماء والصفات

وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجود بعنوت العظمة والجلال والجمال التي لايشاركه فيها مشارك بوجه من الوجود، وذلك بإثبات

[35] إبن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**....، ص. 374

ما أثبت الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلممن جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل.

وشرح الغزالي في كتابه احياء علوم الدين عن صفات الله كاملا. إن الحمد لله، الخالق المدبر هذا العالم، المريد وله العرش. وهو الذي يهدي الناس إلى صراط المستقيم. وهو الذي يعطي الحكمة إلى من وحده بإعطاء الإيمان القوي إلى الناس، ويدبر هم بأن الله واحد لاشريك له وهو ليس في السماء والأرض ولكنه أقرب من حبل الوريد.

عندما يريد الله أن يخلق شيء فقدرته التي يكون ما يريد، وخلقه لايحتاج إلى مساعدة المخلوق، ولكن خلقه من رحمته. وفي بعض رسالته شرح الغزالي عن وحدة الوجود، بأن كل مخلوق ظهر من إرادته وعظمته.

السعادة عند ابن قيم الجوزية

1. مفهوم السعادة عند ابن قيم الجوزية

السعادة ضد الشقاوة من كلمة سعد– يسعد كلمة تعظيم تقال لبعض اصحاب المناصب الأكبر.[36] السعادة هي حالة من السلام و الفرح و الشعور الآمن و بعبارة أخرى هي الشعور بالسعادة و الفرح. معنى السعادة يختلف بين شخص و شخص آخر. أولئك الذين يشعرون بالسعادة اذا كان يحصل من الغذاء والكساء والأكثر تواضعا المنازل، ومنعهم من المرض، والجوع، والحرب. من ناحية أخرى، فإن بعض الناس يشعرون بالسعادة رغم أن الحياة في السلمة، والفاخرة، والصحة، والرخاء. وبعض الناس لايشعرون بالسعادة لو كانت لديه القوة والمكانة والثروة.

يقول الفلاسفة بأن السعادة تنقسم إلى نوعين: أولا، السعادة التلقائية الخالصة وهي سعادة لا شعورية وتلك حالة بدائية للسعادة، تكاد تخرج عن المعنى الحقيقي للسعادة فكيف يكون الإنسان سعيدا، وهو لايدري بأنه سعيد. ثانية، السعادة الواعية حيث يدرك الإنسان أنه

[36] أبو لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، (بيروت: المكتبة الشرقية، 1986)، ص. 333

في حالة السعادة وهذا يضاعف من شعور الإنسان بسعادته لكن هناك ما يهدد هذا الإحساس بالسعادة فيقول المحللون: إن الإنسان سرعان ما يقع فريسة القلق على حظه من السعادة.[37]

إنّ الله سبحانه وتعالى يستجلب من عبده عن أعظم أسباب السعادة له من استعاذته واستعانته به من شر نفسه وكيد عدوه ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والإنابة والفاقة والمحبة والرجاء والخوف وأنواع من كمالات العبد تبلغ به نحو المائة، ومنها ما لاتدركه العبارة وإنما يدرك بوجوده فيحصل للروح بذلك قرب خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب ويجد العبد من نفسه كأنه ملقى على باب مولاه بعد أن كان نائيا عنه، وهذا الذي أثمر له أن الله يحب التوابين وهو ثمرة "لله أفرح بتوبة عبده" وأسرار هذا الوجه يضيق عنها القلب واللسان.[38]

إنّ السعادة تناولها بتمام العبودية، وتمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلا لله وانقيادا وطاعة والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل فهو ذليل لعزه وذليل لقهره وذليل لربوبيته فيه وتصرفه وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه فإن من أحسن إلينا فقد استبدنا وصار قلبنا معبدا له وذليلا تعبد له لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما ينفعه ودفع كل ما يضره.[39]

من البيان السابق رأى الباحث أن السعادة عند ابن قيم الجوزية هي الشعور بالقرب إلى الله كأنه ملقّى أمام ربه، رضا بما قسم الله عليه دون قلاقة القلب، وذلك يحصل بتمام العبادة أي بتكميل مقام الذل و الانقياد إلى الله تعالى ولايشركه شيئ، وباستعاذته واستعانته به من شر نفسه وكيد عدوه ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والإنابة والفاقة والمحبة والرجاء والخوف وأنواع من كمالات العبد. وعمل ذلك كلها لابد بالعلم وبصحة القلب الروحي لذلك أن العلم وصحة القلب هما شيئان مهمان للحصول إلى السعادة.

2. أنواع السعادة عند ابن قيم الجوزية

[37] سعيد صديق عبد الفتاح، **السعادة كما يراها المفكرون**، (بيروت– لبنان: مؤسسة عز الدين، دون السنة)، ص. 29

[38] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة**، الجزء الأول، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1419 هـ)، ص. 433

[39] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة**...، ص. 300

السعادة عند ابن قيم الجوزية فيه ثلاثة أنواع: الشكر على النعمة والصبر على البلاء والتوبة من الذنب.[40] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه الشكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبدا فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث.

أولا، نعم من الله تترادف عليه فقيدها (الشكر) وهو مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنا والتحدث بها ظاهرا وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

أن الشكر من منازل العامة، ولو أن السلطان كسا عبدا من عبيده ثوبا من ثيابه، فأخذ يشكر السلطان على ذلك، لعدّ مخطئاً، مسيئاً للأدب، فإنه مدع بذلك مكافأة السلطان بشكره، فإنّ الشكر مكافأة، والعبد أصغر قدرًا من المكافأة، والشهود للحقيقة يقتضى اتحاد نسبة الأخذ والعطاء، ورجوعها إلى وصف المعطي وقوته، فالخاصة يسقط عندهم السكر بالشهود، وفي حقهم ما هو أعلى منه.[41]

ويرى ابن قيم أن منزلة الشكر من أعلى منازل، وهي فوق منزلة الرضى وزيادته، فالرضى مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه وهو نصف الإيمان. والشكر عنده مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة.

وأن الله تعالى أمر به ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببا للمزيد من فضله، وحارسا وحافظا لنعمته وأخبر أنّ أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسما من أسمائه، فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورًا، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده، قال الله تعالى: وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ (البقرة: 172).

---

[40] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، (القاهرة: دار الحديث، سنة 1999 م)، ص. 5

[41] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**....، ص.249

أن كمال السعادة واللذة الحقيقية، ترك كل شيء حتى الوجود لأجل أنه جل شأنه هو هو، ولأجل أنه واجب الوجود، ولأجل أنه الكامل المطلق، ولأجل أنه ذو الجلال والجمال المطلق، فليكن له فداء كل شيء لي، وكلّي والكلّ وكلّ شيء.[42]

وكان أعظم أسباب السعادة له من استعاذته واستعانته به من شر نفسه وكيد عدوه ومن أنواع الدعاء والتضرع والابتهال والإنابة والفاقة والمحبة والرجاء والخوف وأنواع كمالات العبد تبلغ نحو المائة، ومنها مالا تدركه العبارة وإنما يدرك بوجوده فيحصل للروح بذلك قرب خاص لم يكن يحصل بدون هذه الأسباب ويجد العبد من نفسه كأنه مقلى على باب مولاه بعد أن كان نائبًا عنه. وهذا هو أثمر له أن الله يحب التوابين ثمرة "لله أفرح بتوبة عبده".[43]

فإن تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لله وانقيادًا وطاعة، والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل فهو ذليل لعزة وذليل لقهره وذليل لربوبيته فيه وتصرفه وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه.[44] فإن من أحسن إليك فقد استعبدك وصار قلبك معبدًا له وذليلا، تعبدة له لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما يضره.

الثاني، محن من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها (الصبر) و التسلي. والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور وحبس اللسان عن الشكوى و حبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوها. فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً.

الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون. ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى. والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها حب كامل، وذل تام.[45]

---

[42] بديع الزمان سعيدا النورسي، **المثنوى العربي النوري**، (القاهرة: الطبعة السابعة، 2013)، ص. 307

[43] ابن قيم الجوزية، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة**...، ص. 433

[44] **المرجع السابق**.

[45] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**...، ص.8

والثالث، التوبة من الذنب، فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب (التوبة) والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار.[46]

ويعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة.[47]

3. التوحيد ودوره في تحقيق السعادة

و يرى ابن قيم الجوزية أنّ السعادة تبنى على أصول ثلاثة ولكل واحد منها ضد فمن فقد ذلك الاصل حصل على ضده التوحيد و ضده الشرك و السنة وضدها البدعة و الطاعة وضدها المعصية ولهذه ثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده و من الرغبة في الله وفيما عنده ومن الرهبة منه ومما عنده.[48]

ويرى ابن قيم الجوزية أن علامات السعادة هي صرف اهتمام العبد إلى أمر الله دون ضمانه ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه و خشيته و الاهمام بضمانه و الله المستعان.

وأمّا نظريته في السعادة فإنه رأى ان السعادة القلب إنما تحصيل بعبادة الله تعالى، وقد وضح ذلك بقوله: فإن حاجة العباد إلى ربهم في عبادته إياه و تأليهم له كحاجتهم إليه في خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم، وأمن روعاتهم، بل حاجتهم إلى تأليهه، ومحبته وعبوديته أعظم، فإن ذلك الغاية المقصودة لهم، ولاصلاح لهم، ولانعيم، ولا قلاح، ولا لذة، ولاسعادة بدون ذلك الحال، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان توحيد الألوهية رأس الآمر.[49] ولم يلتفت

---

[46] **المرجع السابق،** ص.6

[47] **المرجع السابق.**

[48] ابن قيم الجوزي، **الفوائد،** محمد بن أبى بكر أيوب الزرعي، ابو عبد الله، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.س)، ص. 20.

[49] ابن قيم الجوزية، **إغاثة الهفان،** الطبعة الأولى، (د.م: دار عالم الفوائد، د.س)، ص. 15

ابن القيم أن يستدل على ما ذكره في هذا الحال، فقال: ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركون به شيئاً.

وابن قيم محق في تحميل القلب المسئولية، واعتباره مسئولا عن سلوك صاحبه إن جار أو عدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب".[50]

أن الحياة القلب وصحته لاتحصل إلا بأن يكون مدركا للحق مريدا له مؤثرا له غيره، ولا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وخاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحبّ إليه من كل ماسواه.[51]

وأمّا نظريته في السعادة فهي تتلخص في أن سعادة القلب لاتكون إلاّ بمعرفة الله تعالى، يقول: فإنّ حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتأليههم له كحاجتهم إليه في خلقه لهم، ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم، وستر عوراتهم وتأمين روعاتهم، بل حاجتهم إلى تأليهه ومحبته وعبوديته أعظم فإنّ ذلك هو الغاية المقصودة لهم، ولا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولاسعادة بدون ذلك بحال، ولهذا كانت (لااله الا الله) أحسن الحسنات، ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.[52]

أثر التوحيد في السعادة

وبنى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ [الفاتحة: 5] " على أربع قواعد: التّحقّق بما يحبّه اللَّه ورسوله ويرضاه، من قول اللّسان والْقلب، وعمل القلب والْجوارحِ.[53] فالعبوديّة هي اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب "إِيَّاكَ نَعْبُدُ [الفاتحة: 5]" حقّا هم أصحابها.

---

[50] عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، **ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه و آراؤه في الفقه والعقائد والتصوف**، (كويت: الطبعة الثالثة 1405-1984)، ص.475

[51] مصطفى مراد، **موقف الإمام ابن قيم من الصوفية** (القاهرة: الطبعة الأولى، 1312هـ-2000م)، ص. 249

[52] **المرجع السابق**، ص. 250

[53] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين**...، ص. 120

فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفْعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله. وقول اللّسان: الْإخبار عنه بذلك، والدعْوَةُ إليهِ، والذَبُّ عنْه، وتبيِينُ بطْلَانِ البِدعِ المخَالِفَةِ لَهُ، وَالقِيام بذكرِه، وتبلِيغ أوامرِه.[54]

وعمل القلب: كالمحبَّةِ له، والتوكّلِ عليه، والْإِنَابَةِ إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدِّينِ لَهُ، وَالصبرِ على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرِضَى به وعنه، والموَالاةِ فيه، والمعاداة فيه، والذلّ له والخضوع، والإخبات إليه، والطُمَأْنِينَةِ به، وغير ذلك من أعمال القلوب الّتي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبّها أحبّ إلى اللهِ من مستحبّها، وعمل الجوارح بدونها إمّا عديم المنفعة أو قليل المنفعةِ.[55] وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك.

ف "إِيَّاكَ نَعْبُدُ [الفاتحة:5] "التزام لأحكام هذه الأَربعة، وإقرار بها، "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين [الفاتحة: 5]" طلب للإعانة عليها والتَوفيق لها، و "اهْدنا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: 6] " متضمّن للتّعريف بالأمرين على التَفصيل، وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السّالكين إلى الله بها.

وجميع الرّسل إنّما دعوا إلى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5] " فإنّهم كلّهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أوّلهم إلى آخِرِهِم، فقال نوح عليه السّلام لقومه "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [الأعراف: 59]" وكذلك قال هود وصالح وشعيب عليهم السّلام وإبراهيم عليه السّلام، قال الله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36] وَقَالَ {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25] وَقَالَ تَعَالَى {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ - وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: 51 - 52] .

والله تعالى جعل العبوديّة وصف أكمل خلقه، وأقربهم إليه، فقال {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: 172]. وجعل النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم إحسان العبوديَّة أعلى مراتب الدّين وهو الإحسان فقال في حديث جبريل وقد سألَه عن الإحسان «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».[56]

---

[54] **المرجع السابق**، ص. 121

[55] **المرجع السابق**.

[56] **المرجع السابق**، ص. 124

خاتمة

إنّ مفهوم التوحيد عند ابن قيم الجوزية بمعنى الإعتقاد بوحدانيّته تعالى وهو العلم والاعتراف بتفرّد الربّ بصفات الكمال، والإقرار بتوحده وصفاته العظمة والجلال، وإفراد وحده بالعبادة وأن يصدق بالقلب ويقرره باللسان والأعمال بالجوارح. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

إنّ مفهوم السعادة عند ابن قيم الجوزية هي الشعور بالقرب إلى الله كأنّه ملقّى أمام ربه، رضا بما قسم الله عليه دون قلاقة القلب، بل بالقلب السليم، من الإيمان والعلم، ذلك يحصل بتمام العبادة أي تكميل مقام الذل والانقياد إلى الله تعالى ولا يشركه شيئ، لحصوله إلى معرفة الله. والسعادة ابن قيم الجوزية ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الخارجية، الجسمية والبدانية، والسعادة النفسية والروحية القلبية.

وكان أثر التوحيد في السعادة عنده ظهر في القلب السليم. ولوصول إلى السعادة، يرى من الإيمان والعلوم البشر لمعرفة الله. لأنّ حقيقة السعادة عنده التقرب إلى الله بالعبادة الخالصة، ولايشركه.[]

مصادر البحث

القرآن الكريم

الجليند، محمد السيد. **قضية التوحيد بين الدين والفلسفة**، القاهرة: مكتبة الشباب، الطبعة الرابعة، 1986 هـ.

الجوزي، ابن قيم، **الفوائد**، تحقيق: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابو عبد الله، بيروت– دار الكتب العلمية.

_____، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، الطبعة الأولى، الجزء الأول، المغرب: دار المعرفة، 1997م.

_____، **إغاثة الهفان في مصايد الشيطان**، الطبعة الأولى،د.م: دار عالم الفوائد، د.س.

_____، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. ، الجزء 3، بيروت–لبنان، دار الكتاب الغربي، 2003.

_____، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة**، الجزء الأول، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1419 هـ.

_____، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، القاهرة: دار الحديث، سنة 1999 م.

الحنبلي، ابن رجب، **كتاب التوحيد**: رسالة كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، الرياض: دار القاسم للتشر، 1415 هـ.

الراوي، عمر أحمد، **طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني و ابن قيم الجوزية**، الطباعة الأولى، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، 1424 هـ– 2003 م.

زركشي، أمل فتح الله، **عقيدة التوحيد عند فلاسفة والمتكلمين والصوفية**، فونوروكو: جامعة دار السلام كونتور، 2008.

العامري، عبد الله محمد غانم، **السعادة في المنظور الإسلام**، الطبعة الأولى، بيروت–لبنان: دار ابن حزم، 2005م.

عبد الفتاح، سعيد صديق، **السعادة كما يراها المفكرون**، بيروت– لبنان: مؤسسة عز الدين، دون السنة.

عبده، محمد، **رسالة التوحيد**، القاهرة: الشعب، د. سنة.

الغزإلي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، الجزء الرابع، القاهرة: دارالحديث ، 1998،

_____، **كيمياء السعادة**، في مجموعة رسائل الإمام الغزالى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.

القرضاوي، يوسف، **الإيمان و الحياة**، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة 1416 هـ.

_____، **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، مصر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة 1422.

_____، **حقيقة التوحيد**، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، 1409 هـ.

شرف الدين، عبد العظيم عبد السلام، **ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه و آراؤه في الفقه والعقائد والتصوف**، (كويت: الطبعة الثالثة 1405-1984.

كثير، ابن، **البداية و النهاية**، ج. 14، قاهرة: سنة 14-8 هـ.

محمد، مصطفي مراد صبحي، **موقف الإمام ابن قيم من الصوفية**، القاهرة: عين شمس، جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر، الطبعة الأولى، سنة 141 هـ–2000 م.

مسكويه، ابن، **تهذيب الأخلاق في التربية**، الطبعة الأولى، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، 1405 هـ–1985 م.

معلوف، أبو لويس، **المنجد في اللغة والأعلام**، بيروت: المكتبة الشرقية، 1986.

النورسي، بديع الزمان سعيد، **المثنوى العربي النوري**، القاهرة: الطبعة السابعة، 2013.

هلابي، صالح بن سعيد بن، **لمحات تاريخية من حياة ابن تيمية**، مجلة اجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ن.

الوهاب، محمد بن عبد، **كتاب التوحيد**، الطبعة الأولى، مصر: مكتبة عباد الرحمن، 2008.

Departemen Pendidikan dan Kebudayaan, *Kamus Besar Bahasa Indonesia,* Jakarta: BalaiPustaka, 1990.

Madkour, Ibrahim, *Filsafat Islam: Metode dan Penerapan*, Terj. Yudian Wahyudi dkk, Jakarta:PT RajaGrafindo Persada, 1996.

Oishi, Shigehiro & Ed Diener, *Journal Association For Psychological Science*, Vol. 2, Number 4, 2007.

Rakhmat, Jalaluddin, *Renungan-Renungan Sufistik: Membuka Tirai Kegaiban*, Bandung: PT. Mizan Pustaka, 1994.

Veenhoven, Ruud, "How Do We Assess How Happy We Are?", Paper Presented at Conference on *'New Directions in the Study of Happiness: United States and International Perspectives*, University of Notre Dame, USA, October, 22-24, 2006.